ملاحق البحث

الملحق الأول

ثبات وقوع اللعن الرباني على بني إسرائيل

جاء الحديث عن وراثة الأرض (المباركة) في مواضع عديدة من الكتاب المقدس والقرآن.. ولاشكّ بأن الأمة الوارثة للأرض المباركة (فلسطين) هي تلك الأمة التي بشر بها الأنبياء بأنّها ستكون من غير اليهود وبأنها ستقيم مملكة الله.. أو حكمه على الأرض.. كيف وقد حدّد الأنبياء زمن ظهورها بشكل دقيق ومذهل، كما جاء في البشارات الواردة بالإصحاح الثاني والسابع والتاسع من كتاب دانيال وفي رؤيا الأسابيع ووصية لاوي من كتاب إينوخ، بل وذكروا تفاصيل كثيرة ظاهرة عن هذه الأمة، وأقترح على القارئ العودة إلى كتاب التباشير الذي جمعت فيه هذه البشارات وفصلتها فسيرى الحقّ ساطعا ويعلم أن الاستخلاف قد نُزع من بني إسرائيل فعلاً وواقعا، وأُعطي لأمة الإسلام من بعدهم.. أمة وارثة للأرض المباركة التي طرد عنها بنو إسرائيل وللرسالة الخالدة التي أعلن على لسان آخر أنبياء بني إسرائيل نزعها إلى أمة تالية.. وأسدل على بني إسرائيل الغضب واللعن، كما ثبت ذلك من العهد القديم والجديد بنسخها المعاصرة، ومن القرآن الكريم كذلك، وبقيت لبني إسرائيل دعوة دائمة بالتوبة وتصديق الأنبياء والانضواء ضمن مملكة الله الوارثة.. وسأورد فيما يلي نصوصا تزيد القارئ يقيناً بأن الملعونين الّذين سيُطردون من فلسطين وسيُشردون في الأرض هم اليهود..

فمن التوراة وكتب الأنبياء:

- **التثنية ٢٨ : ١٥- ٦٨** (الخطاب موجه إلى بني إسرائيل عند نزول التوراة على موسى عليه السلام):

" ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك.. تأتي عليك جميع هذه اللعنات، وتدركك ملعوناً تكون في المدينة وملعوناً تكون في الحقل.. ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعب لا تعرفه فلا تكون إلا مظلوماً ومسحوقاً كل الأيام.. يذهب بك الرب وبملكك الذي تقيمه عليك إلى أمة لم تعرفها أنت ولا آباؤك.. وتكون دهشاً ومثلاً وهزأةً في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم.. وتأتي عليك جميع هذه اللعنات وتتبعك وتدركك حتى تهلك لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياه وفرائضه التي أوصاك بها.. ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصى الأرض إلى أقصاها.. وفي تلك الأمم لا تطمئن ولا يكون قرارٌ لقدمك بل يعطيك الرب قلباً مرتجفاً وكلال العينين وذبول النفس.. "

.. الّذين رأوا اليهود في مهاجرهم قبل عصر استكبارهم الحالي يعجبون كيف تحقق هذا الوعيد بحذافيره كاملةً..

- **التثنية ١١ : ٢٦ ..**

" انظر أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة، البركة إذا سمعتم لوصايا الرب.. **واللعنة** إذا لم تسمعوا بوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق.. ".

- **دانيال ٩ : ١١ ..**

" وكل إسرائيل قد تعدى على شريعتك وحادوا لئلا يسمعوا صوتك فسكبت علينا اللعنة والحلف (القسم) المكتوب في شريعة موسى عبد الله لأننا أخطانا إليه ".

- **إرميا ٢٣ : ٤٠ ..**

" لذلك ها أنذا أنساكم نسياناً وأرفضكم من أمام وجهي أنتم والمدينة التي أعطيتكم وآباءكم إياها، وأجعل عليكم عاراً أبدياً وخزياً أبدياً لا يُنسى "

- **ملاخي ٢ : ٢ – ٦ ..**

" قال رب الجنود فإني أرسل عليكم اللعن ، وألعن بركاتكم ، **بل قد لعنتها لأنكم لستم جاعلين في القلب** "، والخطاب هنا هو لبني إسرائيل.

.. "In fact, I have already put a curse in them, because you don't take my commands seriously" .

- **هوشع ٩ : ١٥–١٧**

" إني هناك أبغضهم من أجل سوء أعمالهم أطردهم من بيتي لا أعود أحبهم .. يرفضهم إلهي لأنهم لم يسمعوا له فيكونون تائهين بـــين الأمم " .

- **هوشع ١٣ :١٤**

" I will no longer have pity for this people . "

أي لن تكون لي (مستقبلاً) رحمةً عليهم .

- إشعيا ٢٤: ٥–٦: " تدنست الأرض تحت سكانها، لأنهم تعدوا على الشريعة، ونقضوا الفرائض، ونكثوا العهد الأبد. لذلك التهمت اللعنةُ الأرضَ،وعوقب أهلهابإثمهم.." وكان قبل ذلك قد قال في نفس الإصحاح:١: " ها إنّ الربّ يُخرب أرض يهوذا ويقفرها، ويَقلبُ وجهها ويُشتت سكانها"
- **أشعيا ٤٣: ٢٨:** " ودفعت يعقوب (أي إسرائيل) إلى اللعن وإسرائيل إلى الشتائم"
- **إرميا ١١ : ٣ ..**

" قال الرب إله إسرائيل ملعونٌ الإنسان الذي لا يسمع كلام هذا العهد الذي أمرت به آباءكم يوم أخرجتهم من أرض مصر.. اسمعوا كلام هذا العهد واعملوا به لأني أشهدت على آبائكم إشهاداً.. فلم يسمعوا.. **فجلبت عليهم كل كلام هذا العهد الذي أمرتهم أن يصنعوه ولم يصنعوه** " .

I have placed a curse on every one who doesn't obey .. "

Then said" listen or obey But they didn't" .

- **ملاخي ٣ : ٩..**

" من أيام آبائكم حدتم عن فرائضي ولم تحفظوها، ارجعوا إليّ أرجع إليكم قال ربّ الجنود، فقلتم بماذا نرجع، أيسلب الإنسان الله، فإنكم سلبتموني، فقلتم بما سلبناك، في العشور والتقدمة، قد لعنتم لعناً وإياي أنتم سالبون هذه الأمة كلها ".

- **أشعيا ٣٠ : ١٣ – ١٤ ..** في إشارة إلى تشريد وتمزيق بني إسرائيل بين الأمم نتيجة إثمهم..

" لذلك يكون لكم هذا الإثم كصدعٍ منقضٍ ناتئٍ في جدارٍ مرتفعٍ يأتي هدّه بغتةً في لحظة، **ويكسر ككسر إناء الخزّافين مسحوقاً بلا شفقة** حتى لا يوجد في مسحوقه شقفةٌ لأخذ نار من الموقدة أو لغرف ماءٍ من الجب " تهديد قديم ووعد بتمزيق اليهود وتشتيتهم بين أمم الأرض نتيجة إثمهم.

- **إرميا ١٩ : ١٢ ..**

" هكذا قال رب الجنود. هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة كما يكسر وعاء الفخّاريّ".

- **إرميا ١١: ٣**

" .. ملعون الذي لا يسمع كلمات هذا العهد .." ومن الثابت أنّ اليهود لم يسمعوا ولم يطيعوا..

- **إرميا ١٣ : ١٠**

" هذا الشعب الشرير الذي يأبى أن يسمع كلامي .."

..فالأشرار المقصود بهم هنا وبنصوص الزبور أعلاه، بل وبمناداة المسيح عليه السلام لهم كما بالإنجيل، هم كفار اليهود الذين كفروا بالأنبياء.. وهو فهم واضح كذلك من تفسير أهل مخطوطات البحر الميت لنصوص الزبور المذكورة لبشارة وراثة الأرض، وهو بيّن مما نسب إلى المسيح عليه السلام من نصوص ومما حدث بعد ذلك على الواقع ..

- **إرميا ٤٤: ٨** ، والخطاب موجه إلى بني إسرائيل:

obeikandl.com

" ..لكي تتقرضوا ولكي تصيروا لعنة وعارا بين كل أمم الأرض.. ويصيرون حلفا ودهشا ولعنة وعارا " ٤٤ : ١١

- **إرميا ٢٣ : ١٠**

.. في حديث عن انحراف بني إسرائيل :" لأن الأرض امتلأت من الفسّاق، وناحت بسبب اللعنة، ويبست مراعي البرية، وصارت مساعيهم شريرة وبسالتهم ظالمة"

- **أخبار الأيام ٣٤: ٢٤..**

' ها أنا جالب على هذا الموضع وعلى أهله كل اللعنات الواردة في السفر.."، وكذلك ١٩:٧-٢٢ وفيه وعد بالتشريد وهدم الهيكل عند نكثهم لعهد الله.

- **اشعيا ٢٤: ٥- ٦**

" والأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع، غيّروا الفريضة، نكثوا العهد الأبدي، لذلك لعنةٌ أكلت الأرض وعوقب الساكنون فيها" .. بيّنٌ ان الأرض المقصودة هي الأرض المباركة بفلسطين.

- **حزقيال ٣٣: ٢٣- ٢٧**

" فكان إلي كلام الرب قائلا: يابن آدم إن الساكنين في هذه الخرب **في أرض إسرائيل يتكلمون قائلين إنّ إبراهيم** كان واحدا وقد ورث الأرض، ونحن كثيرون لنا أعطيت الأرض ميراثا، لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب تأكلون بالدم، وترفعون أعينكم إلى أصنامكم وتسفكون الدم، **أفترثون الأرض**، وقَفتم على سيوفكم، فعلتم الرجس وكل منكم نجس امرأة صاحبه، **أفترثون الأرض**.." وقد جاء بالأناجيل مثل هذا الإنكار عليهم والنفي بأن يكونوا هم ورثة إبراهيم، جاء على لسان يحيى عليه السلام إنّه : " **قال لهم يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي ، فاصنعوا ثماراً تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً، لأني أقول لكم أنّ الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم، والآن قد وضُعت الفأس على أصل الشجرة**.." متى: ٣ - ١١

- **إرميا ٢٤ : ٨-٩ ..**

" هكذا أجعل صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية أورشليم الباقية في هذه الأرض والساكنة في أرض مصر، وأسلمهم للقلق والشر في جميع ممالك الأرض عاراً ومثلاً وهزأة ولعنة في جميع المواضع التي أطردهم إليها، وأرسل عليهم السيف والجوع والوباء حتى يفنوا عن وجه الأرض التي أعطيتهم وآباءهم إياها".. والشاهد هنا أن اليهود هم الأمة التي لعنت..

قد يُفهم من موضع ورود النص الأخير أعلاه (إرميا ٢٤ : ٨-٩)، أنه يعني بقية اليهود الّذين لم يسبوا إلى بابل.. والواقع أن التهديد بالتشريد، والتمزيق بين أمم الأرض، وفرض المذلة والمسكنة عليهم، إضافة إلى إسلامهم إلى الأخرين يضطهدونهم.. الواقع أن هذا التهديد قد أُطلق من زمن موسى عليه السلام لليهود جميعاً، وتمّ تطبيقه كعقوبة شاملة عليهم جميعاً كما هو معلوم من التاريخ، رغم وجود بعض الصالحين بينهم كما يفهم من وصية المسيح عيسى عليه السلام عن مجيء الجيوش وحصارها للقدس، وأمره للصالحين بانتظار الفرج على أيدي المختارين (المُصطَفين)، الذين سيتأخر قدومهم من بعد عقاب الله لليهود وطردهم بفترة من الزمن تطول حتى تتعاقب عليها أمم، تمّ تحديدها _ أي تلك الفترة_ في كتاب إينوخ بما دون السبعمائة سنة، ودعا المسيح عيسى عليه السلام أتباعه بالدعاء لتقصير تلك الفترة حتى قيام مملكة الله.. بل وجعل الدعاء بقدوم المملكة جزءاً من الصلاة اليومية للأتباع.. وهذا البلاء المُتوعد به اليهود قد وقع عليهم فعلا عبر القرون.. وقد ورد ذكره بالقرآن الكريم في أكثر من موضع، منها قوله تعالى بالكتاب العزيز : " **وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم. وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**"..

وقد أراد بعض أهل الكتاب أن يفهم أنّ الأمة الوارثة هي بقية اليهود العائدين من بابل بعد الأسر.. وهذا فهمٌ منشأهُ في الغالب – والله أعلم – تحريفات اليهود، وإلا فإلتاريخ لا يثبت للذين عادوا من بابل مثل هذه الوراثة وهم قد ظلوا من بعد اسر البابليين أسرى لدى الفرس ثمّ الإغريق ثمّ الروم ثمّ أصابهم بعد ذلك العقاب الموعود والاستئصال الكامل من الأرض المباركة "حتى لا تجد بها أحداً منهم"، ولا يسمح كذلك العقل بهذا التفسير وقد ظلّ الأنبياء من بعد العودة من بابل يبشرون بمجيء المختارين الوارثين، حتى جاء عيسى عليه السلام مبشراً بالمختارين من بعده من غير اليهود.. فكيف يكون (العائدون من بابل) هم الوارثين والمختارين وقد كانوا سابقين في وجودهم لمن جاء يبشر بمجيء الوارثين من الأنبياء مثل عيسى عليه السلام..

هذا وقد يفهم من بعض نصوص التوراة أنّ الله عز وجل من بعد غضبه على اليهود قد عفا ورضى عنهم، وهذا قد حدث بالتأكيد مرارا منذ عهد موسى عليه السلام، وله شواهد بالقرآن كذلك... منها قوله عز وجل . " **لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل.. فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا و صموا كثير منهم، والله بصير بما يعملون**" المائدة آية :٧٠-٧١... إلا أنّ آخر عهدهم بالوحي من خلال عيسى عليه **السلام** كان إعلان نزع النبوة منهم، وإعلان مجيء العقاب الإلهي عليهم لا محالة، مع فتح باب الأمل لهم بمجيء مملكة الله من أمة أخرى من بعد عيسى عليه السلام.. **ولا محل لتعلق اليهود بتوبات سابقه على بعض أجيالهم الماضية..**

ونقرأ بالإنجيـل.. خطـاب يحيى (يوحنّـا) عليه السلام لهم: " **يا أولاد الأفاعي، من أراكم سبيل الهرب من الغضب الآتي..**" متى ٣: ٧ ، وخاطبهم بذلك المسيح عليه السلام كما تروي الأناجيل، فقال : " **يا أولاد**

الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم.. أيا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين.." متى ٢٤: ٣٠- ٣٧، وهددهم بأنه ما جاءهم إلا بالسيف والإبادة.. وهي التي أنذر بحدوثها عليهم من بعده عقوبةً عليهم من الله عزّ وجلّ، وورد في رسالة بولس إلى أهل رومية اقتباس دعوة داوُد عليه السلام على عصاة بني إسرائيل " وقال داود: لتكن مائدتهم فخا لهم وشركاً وحجر عثار وجزاء. لتظلم عيونهم فلا تبصر، واجعل ظهورهم منحنية أبداً " وينبغي هنا ملاحظة أنّ كل اليهود الذين لم يتنصروا من بعد المسيح ويؤمنوا به كلهم كفرة، استحقوا العقاب الموعود والله أعلم، وكفرة مثلهم كذلك كلّ اليهود والنصارى الذين لم يسلموا من بعد محمّد صلى الله عليه وسلم.

ومن القرآن كتاب الله المصون عن التحريف، نقرأ قوله تعالى:

" **لُعِنَ الّذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوُد وعيسى ابن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون..** " المائدة : ٧٨، وقوله تعالى مبيناً نقض اليهود لميثاقهم الغليظ مع ربهم واستحقاقهم اللعنة منه عزّ وجلّ: " **فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم** وجعلنا قلوبهم قاسيةً، يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكّروا به.. " المائدة:١٣، وقوله عزّ وجلّ :".. وقلنا لهم لا تعدوا في السبت **وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً. فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق..** " النساء : ١٥٥، وقوله تعالى عن اليهود الّذين يؤثرون الوثنيين على المسلمين " أُولئك الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله فلن تجد له نصير...." النساء: ٥٢، وقوله تعالى عنهم كذلك " .. **ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا..**" النساء :٤٦، وقوله تعالى " .. **أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت، وكان أمر الله مفعولا..**" النساء : ٤٧، وقوله عزّ من قائل : " **ضربت عليهم المسكنة، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون**" آل عمران : ١١٢، وقوله عزّ وجلّ مبيناً تعذيبهم وتشريدهم في الأرض عقاباً لفسقهم : " **وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من**

يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم . وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون" الأعراف ١٦٧، ١٦٨

ولا يشكّ المسلمون في أنّ المراد بالصالحين Righteous في بشارات المزمور بوراثة الأرض هم الجيل الأول من المسلمين، ولا يشكّون في أنّ الوارثين للأرض المباركة هم المسلمون في جيلهم الأول بالذات.. فإنّ وعد الله لرسوله محمّد صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بالاستخلاف على الأرض وهزيمة أعدائهم والتمكين لهم قد جاءهم وهم كانوا ما يزالون ضعفاء بمكة وبالمدينة، وقد ثبت ذلك من مواضع عديدة من كتاب الله العزيز.. ويأتي الاستشهاد هنا ببشارة الزبور أو المزمور ("**الصّديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد** " مزمور ٣٧: ٢٩) لداود عليه السلام يأتي الاستشهاد بها في سورة الأنبياء بالقرآن الكريم الذي نزل بمكة منسجماً مع تبشير القرآن للمؤمنين بالنصر والتمكين في الأرض.. مع ملاحظة أن هذا الاستشهاد جاء بنفس نص عبارة الزبور تماماً.. كما هي عليه بالزبور حتى العصر الحالي، قال الله عزّ وجل في الكتاب العزيز في إشارة بيّنة ومفسِّرة لبشارة الزبور أعلاه: "**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون**" الأنبياء (وهي مكية) آية ١٠٥..

وبهذا يتضح من التوراة والإنجيل أنّ الملعونين الموعودين بالتمزيق والتشريد في الأرض هم بنو إسرائيل المكذبون بأنبياء الله ورسله، الموعودون بالتشريد أذلةً بين الأمم والطرد من فلسطين، وقد وقع ذلك عليهم تماماً كما أخبر الأنبياء.. فدلّ ذلك يقيناً على أنّ نصوص المزمور أو الزبور– أعلاه– إنّما تعني بوضوح طرد بني إسرائيل من فلسطين، وتوريث الأرض المباركة للأمة البديلة التي تحدّث الأنبياء عن مجيئها من بعد هدم القدس على أيدي الروم، وهي الأمة التي ستقيم مملكة الله الأخيرة على الأرض.. ولا يملك المرء إلاّ الانبهار بتمام

التناسق في هذه القضية بين التوراة وكتب الأنبياء (الملحقة بالتوراة) والإنجيل والقرآن.. في نظرة واحدة الى اليهود – الذين عصوا الأنبياء – كأمة ملعونة مطرودة بالدنيا والآخرة مستبدلة بأمة أخرى هي أيضا من أبناء إبراهيم (كما سيرد ذكره)، ولا خلاص للأمة اليهودية إلاّ بالعودة إلى الله واتباع الانبياء (٣)..

وإذاً فقد استحق اليهود غضب الله عليهم ولعنته لهم وانتزاع النبوّة والأرض المباركة (التي وُعِد بها أبناء إبراهيم) منهم إضافة إلى انتزاع نعمة الله السابقة بتفضيلهم على الأمم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.. وكان بعد ذلك توريث الأرض والنبوّة لأمّة نبيها من أبناء إبراهيم عليه السلام.. تحقيقاً لوعد الأنبياء الكثيرين من قبل..

إن ميراث المسلمين لفلسطين (٤) وللنبوّة من بعد اليهود لهو تصديق كامل لوعود الأنبياء بقيام الأمّة الصالحة ومملكة الله القادمة التي ترث الأرض والنبوة من بعد اليهود.

الملحق الثاني

تفاصيل وقوع العذاب الشديد الموعود

وتتواصل الأحداث كما أخبر المسيح فيظهر نبيان كاذبان بين اليهود يزعم كل منهما أنه المسيا المنتظر... ويتبعهما الناس.. وتتأجج الثورة ضد الروم في الأعوام ٦٣ –٧٠م .. وينتظر الناس الفرج الموعود بقيام مملكة الله على يد المسيا وهلاك الروم.. ولم لا فهذه هي المملكة الرابعة (مملكة الروم) ليس بعدها إلا مملكة الله كما أخبر النبي دانيال عليه السلام.. وتتأجج العواطف.. ويلتهب الحماس ، فإن وعد الله قد أصبح وشيك التحقق ويتحمس الناس (اليهود) لقتال الروم.. ولكن ليكن في ذلك هلاكهم.. فإنهم عصوا رسل الله الذين أخبروهم (كيحيى وعيسى وغيرهم من قبلهم) بهلاك أورشليم المحقق.. وبأن مملكة الله القادمة بعد الروم ليست قادمة إلا من أمة أخرى.. وأن عليهم عدم مواجهة الروم بل الفرار منهم.. وفي هذا السياق أستشهدُ بالعبارة الواردة التي استشهد بها إيسنمان (الباحث المشهور في مخطوطات البحز الميت) عند التعليق على المحاولات المسيانية (أي المحاولات لإقامة دولة المسيا المنتظر) المتكررة من أن الكاهن سيمون تنبأ لليهود في كتاب المكابيين الأول ١٤: ٤١ ، وهو من ضمن الكتب المسماة بأبوكريفا ويقدسها الكاثوليك، تنبأ لهم بأنه " **ولن يتوقف رجال العنف من محاولة أخذ مملكة السماء (أي مملكة الله) بالقوة**" طمعاً أن يأتيهم نبي.. فتلك في الواقع كانت مشكلتهم إصرارهم أن مملكة الله القادمة هي فيهم، وتكذيبهم لمن خالفهم من الأنبياء في ذلك.. ويلاحظ هنا أنّ أهل مخطوطات البحر الميت تواصوا على عدم مشاركة الأشرار (وهو اصطلاح يقصدون به بقية اليهود) في أي مقاومة حتى يأتي يوم العقاب (الرقعة 1Q S 10: 117-119).. وهو يوم عقاب استئصال الأشرار من الأرض المباركة الذي تحدثت عنه المزامير وكتب الأنبياء .

فهلك اليهود رغم استبسالهم في قتال الروم الوثنيين ، هلكوا لأنهم عصوا الله وكفروا برسله لمّا أخبروهم بأن المسيا ومملكة الله سيكونا من أمة أخرى.. وما ذلك إلا لتعطيلهم الشريعة وتمردهم على الأنبياء . هلكوا لأنهم اتبعوا أنبياء كذبة أرضوا طموحهم بالقول ببقاء النبوة ومملكة الله فيهم.. فكأنهم كأهل اليمامة من اتباع مسيلمة الكذاب الذين قاتلوا عن مسيلمة قتال الأبطال وقالوا " نبي كاذب منا خير من نبي صادق من غيرنا " فأهلكهم الله جميعاً .

.. لقد وقع على اليهود عذاب لا يتخيله أحد .. وذلك أنهم ثاروا على القائد الروماني Gessius Florus وعلى الحُكم الروماني في الفترة بين عامي ٦٤ – ٦٦ م توقعاً منهم بقرب زوال وانهيار الحكم الروماني وهو فهم له جذوره من النبوات المتعلقة بقيام مملكة الله.. فقامت القيادة الرومانية عام ٦٧م بتعيين فسبيان Vespian الذي قضى على مجموعة من جيوب المقاومة حتى عام ٧٠م، حين عُيّن هو نفسه إمبراطورا، فاستخلف ابنه تيطس Titus الذي ضرب الحصار على أورشليم في فبراير عام ٧٠م بشـــكل مفاجئ في وقت اجتمع بالقدس أثناءه عدة ملايين من اليهود جاءوا للاحتفال بعيد العبور Passover .. وكان قد فر منها المؤمنون النصارى من اليهود (النصارى) بقيادة سمعان Simeon ابن خالة المسيح عليه السلام، وبقي بها عامة اليهود ومن تحمس لقتال الروم متوقعا قرب قيام مملكة الله وانهيار دولة الروم.. وضرب الروم الحصار على القدس وهي مكتظة بالملايين التي قدمتها للاحتفال بالعيد.. وامتد الحصار وطال.. وجاع الناس.. وهلكوا.. وتساقطوا أمواتاً.. حتى عجزوا عن دفن بعضهم البعض.. فقد بلغ الوهن بهم أن يتساقطوا موتى أثناء الدفن.. وملئت البيوت بالجثث.. وأخرج الكثير منها من أبواب المدينة.. وقد ذكر جوسيفس Josephus في كتابه: الثورة اليهودية الكبرى: حصار وتدمير القدس وهو مؤرخ يهودي عاش أحداث الحصار أن الوديان المحيطة بأورشليم امتلأت بالجثث، وأن تيطس لما رأها في إحدى جولاته حول المدينة رفع يديه الى

السماء يعلن أنه لم يكن يخطط لمثل هذا، وأن عدد جثث الموتى التي أحصاها أحد الجنود الرومان أخرجت من الباب الذي كان يراقبه – بأمر القائد الروماني – أن عدد هذه الجثث بلغ مائة وخمسة عشر ألفا وثمانمائة وثمانين جثة أخرجت من المدينة من باب هذا الجندي في الفترة من نيسان الى تموز عام ٧٠م... وأحصى الروم ما يزيد على ستمائة ألف جثة أخرجت من أبواب المدينة مجتمعة.. كلهم ماتوا جوعاً، وهم غير من هلك جوعاً داخل المدينة ولم تخرج جثثهم.. وامتلأت بهم البيوت.. فقد كانوا يكوِّمون الجثث داخل البيوت الكبيرة حتى تمتلئ فيغلقون عليها الأبواب.. ويكوِّمونها في أكوام بل وجبال من الجثث داخل المدينة وأمام أبوابها.. واشتد الضعف والهلاك بالناس حتى كانوا يتساقطون موتى وهم يحاولون دفن موتاهم.. بل منهم من لبس أكفانه قبل موته استعدادا للموت المشاهد كما يذكر جوسيفس، وانقطع عن الناس النحيب على الأموات أو الحداد عليهم، إنهم كانوا ينظرون إلى موتاهم بعيون جافة وأفواه فاغرة يرونهم ارتاحوا قبلهم كما وصفهم جوسيفس، واشتد الوضع على الناس حتى أكلوا من الزبائل والمجاري وفضلات الحيوانات.. بل أكلوا الأموات.. وذكر المؤرخ اليهودي قصة أم طبخت ابنها وأكلت نصفه وقدمت نصفه لغيرها.. وذكر جوسيفاس مثلا آخر من شدة البلاء الذي وقع على اليهود أن الذين تمكنوا من الهرب، كانوا يأتون الأعراب والسوريين (يقصد من غير الجيش الروماني) متضرعين فيبقروا هؤلاء الأعراب بطونهم بحثا عن الذهب، فقد اكتشف هؤلاء أن اليهود كانوا يبلعون قطع ذهبهم قبل هروبهم ليهربوها معهم، وذكر الكاتب أنّ الفين من هؤلاء الهاربين بقرت بطونهم في ليلة واحدة بحثاًعن الذهب.. ويعلّق جوسيفاس أن الأمر في الواقع – أو في حقيقته – إنما هو أنّ الله قد مقت هذه الأمة كلها، وقلب كل صنيع وحيلة تقوم بها لإنقاذ نفسها هلاكاً ووبالاً عليها كما هو الحال في محاولة تهريب الذهب.. واستمرت الحرب ودخل الروم أخيراً المدينة والهيكل.. وقذفوا الهيكل ودمروه بالحجارة وكرات

النار حتى اشتعل البيت المقدس في حريق شامل كبير، شمل الجبل الذي عليه الهيكل كله، حتي حسبه كل من رأه حريقا شاملا للمدينة كلها .. وأصيب اليهود باليأس والخذلان لما رأوا البيت محترقا.. وذبح الروم كل من وقعت أيديهم عليه، دون تمييز لأطفال أو مسنين أو نساء كما نقل جوسيفاس، حتى تغطت الأرض تماما بالجثث، ومشى الناس والجنود على أكوام الجثث، وكان المذبوحون أكثر عددا ممن ذبحهم .. وقتل الروم -كما يحصي الكاتب اليهودي- مليوناً ومائة ألف، وأسروا سبعة وتسعين ألفا أكثرهم من غير أهل القدس كانوا قد قدموها للاحتفال بالعيد بها.. وأخذوا كل من تجاوز السابعة عشر عبداً للعمل بالمناجم أو ليتسلى عليه الروم في مسارحهم وهو يصارع بشراً أو وحوشاً حتى الموت.. وأحرق الروم الهيكل ودمّروه تماماً حتى ما ترك منه "حجر على حجر" غير جانب من جدار.. ودمرت المدينة تماماً غير بيوت محدودة في أحد جوانبها.. ووقع العذاب على اليهود بأشد ما يمكن أن يصله عذاب.. عذاب لم يحدث من قبله مثله، تماماً كما أنذرهم الأنبياء الكرام كالمسيح ويحيى وأشعياء وغيرهم....وبنفس تفاصيله الدقيقة التي بيّنوها..

ولم يتعلم اليهود ولم يتوبوا.. فها قد تحقق فيهم وعد الله بالعذاب والطرد والتشريد بين الأمم.. لم يتوبوا فيتبعوا الأنبياء الحق.. بل ظلوا كافرين برسل الله كالمسيح ويحيي.. بل قتلوا بعدهما -عام ٦٢م- ابن خالة المسيح عليه السلام وخليفته الأول يعقوب، الرجل المشهور بلقب العادل والصديق، الرجل الذي كتب عن تقواه وصلاحه من غير المصادر المسيحية ما لم يكتب مثله عن المسيح عليه السلام نفسه، الرجل الإمام في حياته لكل اليهود ! ألقوه من عل أو ضربوه بعصا على رأسه، ثم رموه بالحجارة – وهو يدعو لهم بالمغفرة والهداية وهم يقتلونه رميا بالحجارة- حتى استشهد رحمه الله.. ولو جاءهم أنبياء من بعد المسيح لصنعوا بهم ما أرادوه بالمسيح عليه السلام.. واتبع اليهود كلَّ نبي كاذب يشبع غرورهم، وأطماعهم بأحقيتهم بمملكة الله وبأن المسيا سيكون منهم من

أبناء داود .. وذلك من تحريفهم للتوراة وكتب الأنبياء.. وهو التحريف الذي فضحه المسيح وإرمياء وغيرهم عليهم السلام.. وهو التحريف الذي دفعت الأمة اليهودية ثمنه ثمناً باهظاً.: فأصرت على مخالفة الأنبياء والاحتجاج على الله عز وجلّ أن يختار لدينه أمة غيرها.. ومكرت أمة اليهود فمكر الله بها والله خير الماكرين .. " يا حسرة على العباد " لو اتبعوا أنبياءهم لكانوا ضمن مملكة الله والأمة المختارة ..

لم يتعلم اليهود ولم يتوبوا، فرغم العذاب الذي وقع عليهم عام ٧٠ م، بعد أربعين سنة من مغادرة المسيح للأرض عام ٣٠ م، أعاد اليهود الخطأ نفسه، وثاروا على الروم يشجعهم نبي كاذب ادّعى أنه المسيا (المصطفى) المنتظر.. اتبعوه، وقد أنذرهم المسيح ألا يتبعوا مثله، وأن ليس لهم نبي منهم من بعده.. اتبعوا سمعان باركوخبا Simon Barcochebas الذي عينه حاخامهم الأكبر أكيبا يوسف ملكا مسياً عليهم، ولقبه بابن النجم نسبة الى البشارة في سفر العدد ٢٤:١٧- ١٨ بالمسيا المنتظر كأنه نجم أو كوكب منير في آخر الزمان، وذلك هو معنى اسمه Bar Kochba وإن كان البعض يعتقد أن اسمه الأصلي غير ذلك،وهو Bar Kosiba.. وقام هذا الأخير بحرب عصابات أجبرت الفيلق العاشر الروماني على ترك القدس.. وطرَدَ غير اليهود من المدينة.. ورتب الصفوف وقسم الكتائب، وأحكم الترتيب، ثم ثار على الروم.. وثار معه اليهود يتوقعون النصر والمدد الإلهي.. ولم لا فها قد ظهر المصطفى (المسيا) المنتظر بينهم.. وجاء الروم بقائدهم جوليوس سيكتوس Sextus Julius فاستأصلوا اليهود حيثما وجدوهم، فهدموا خمسين حصنا وأبادوا ٩٨٥ قرية وقتلوا خمسمائة وثمانين ألفاً من جنود اليهود المقاتلين، ولا يستطيع أحد أن يحصي الذين ماتوا جوعا أو حرقا أو مرضا من كثرتهم كما يروي ذلك المؤرخ ديو كاسيس Dio Cassiusوقُتل المسيا الكذاب.. وظهر لهم بذلك كذبه حتى سموه بابن الكذاب، وأكتمل بذلك الوعد بالطرد والتشريد.. فحرّم على من بقي من اليهود دخول

أورشليم.. وجعل الإعدام عقوبة للمخالفين.. بل وحرمت عليهم فلسطين، وشردوا أذلة بين الأمم .. وأعطيت أورشليم اسما جديداً، فسميت أيليا كابيتولينا Aelia Capitolina بدلا من اسمها اليهودي أورشليم، وأعطيت سكانا غير سكانها اليهود.. وأسدل الستار على تاريخ اليهود بفلسطين إلا من العودة – غير الربانية – وهي العودة المعاصرة التي سنتحدث عنها فيما بعد.. وتمّ بذلك ما أخبر به المسيح عيسى وداود والأنبياء عليهم السلام تماما كما روي في إنجيل متى وكتب الأنبياء.. ووقع خراب القدس والهيكل، ذلك الخراب الذي تنبأ دانيال بوقوعه في نهاية السبعين أسبوعا من السنين التي بقيت لبني اسرائيل من بعد عمارة القدس وأسوارها عام ٤٤٥ قبل الميلاد، وهو الخراب الذي تحدث أصحاب مخطوطات البحر الميت بوقوعه أربعين سنة بعد قطع المعلم الفريد (وقد كان بعد عيسى عليه السلام بأربعين سنة)، تم ذلك الهلاك باتباع اليهود لأنبياء كذبة وإهلاك الله لهم نتيجة ذلك.. وهو تماما ما توعّد به الأنبياءُ بني إسرائيل بوقوعه إذا استمروا في انحرافهم.. ففي إرميا ١٩ : ٧-٩ ورد ما يعدّ وصفاً دقيقا لما حدث لليهود على أيدي الرومان (**وأجعل تدبير يهوذا وأورشليم في هذا المكان باطلاً، وأسقطهم بالسيف أمام أعدائهم وبأيدي طالبي نفوسهم، وأسلم جثثهم طعاماً لطيور السماء ولبهائم الأرض. وأجعل هذه المدينة خراباً وصفيراً، فكل من يمر بها يدهش ويصفر على جميع ضرباتها. وأطعمهم لحم بنيهم ولحم بناتهم، وكلّ منهم يأكل لحم صاحبه في الشدة والضيق التي يضايقهم بها أعداؤهم وطالبو نفوسهم**).. تماماً كما ثبت في شهادة المعاينة مؤرخهم جوسيفاسJosephus.. وفي عاموس ٢:٨-٣: " **قد أتت النهاية لشعبي اسرائيل، فلا أعود أعفو عنه، فتصير أغاني القصر ولوال، في ذلك اليوم يقول السيد الرب وتكثر الجثث، وتلقى في كل مكان بصمت**".. وفي إرميا ٩ : ١٤-١٥ الوعد بالشتات والتعذيب والإذلال، وهو ما حدث فعلاً بعد ذلك.. (**لذلك هكذا قال رب القوات، إله إسرائيل: هأنذا أطعم هذا الشعب مرارة**

وأسقيهم ماء سم، وأشتتهم في الأمم التي لم يعرفوها هم ولا آباؤهم، وأطلق في إثرهم السيف حتى أفنيهم).. وفي لاوي ٢٦: ٢٩ " **وأضاعف عذابي سبع مرات أخرى وفقا لخطاياكم، فتأكلون لحم أبنائكم وبناتكم، وأدكّ مذابح مرتفعاتكم، وأحطّم أنصاب شموسكم، وأكوم جثثكم فوق بقايا أصنامكم وتنبذكم نفسي، وأحول مدنكم إلى خرائب..**"، وفي سفر مراثي إرميا ٤: ٩ – ١٠ "**كان مصير ضحايا السيف أفضل من مصير ضحايا الجوع.. طهت أيدي الأمهات الحنايا أولادهن ليكونوا طعاما لهن في أثناء دمار ابنة شعبي..**" .. وفي مراثي إرميا ٢: ١٩– ٢٠ :"**.. أطفالك المغشي عليهم من الجوع عند ناصية كل شارع.. أعلى النساء أن يأكلن ثمرة بطونهن، وأطفال حضانتهن**"

... وتم طرد اليهود من الأرض (المباركة) تماما كما كتب بالمزامير – سنستعرضه فيما بعد– وغيرها من كتب الأنبياء وأصبحت الأرض المباركة كما أشار المزمور تنتظر الأمة البديلة المباركة ..

وكانت الفترة التاليه لخراب القدس هذا فترة عصيبة من الحروب واضطهاد المؤمنين على أيدي الروم الوثنيين في البداية.. ثم على أيدي الروم الذين تنصروا بمسيحية بولس.. فطارد هؤلاء المتنصرون من الروم طاردوا النصارى اليهود والموحدين.. ومضت أيام وأيام.. قصّرها الله كما روى متى عن المسيح عليه السلام.. وجاءت مملكة الله الوارثة للأرض المقدسة كما وعد الله عزوجلّ بالمزامير وكما بشّر بها الأنبياء الكرام.. فكانت رحمة للمؤمنين من بعد صبرهم وثباتهم، بل رحمةً للعالمين جميعا.. واختفى من حينها خبر النصارى من أتباع كنيسة القدس ..اختفى خبرهم كنصارى لانضمامهم كمسلمين لمملكة الله التي كانوا ينتظرون.. فلما عرفوها ذرفت لذلك دموعهم مما عرفوا من الحق.. وصدق فيهم وأمثالهم قول الله عز وجل بالقرآن الكريم "**الذين آتيناهم الكتاب – أي اليهود والنصارى – هم به يؤمنون، وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنّه الحقّ من ربنا، إنّا كنا من قبله مسلمين، أولئك يؤتون أجرهم**

مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون .." وقوله عزّ وجلّ: "**..مما عرفوا من الحق..**" لقد ظهرت مملكة الله على يد المصطفى (المسيا) الخاتم للنبوة .. الذي ذكره دانيال، وتم به ختم النبوة واختيار أفضل بقعة على الأرض (بطبيعة الحال غير القدس التي كانت معلومة حينها) تماما كما تنبأ دانيال.. ظهرت المملكة ضعيفة ممثلة في فرد واحد مطارد.. أعلن نبوته للعالمين جميعا وهو لايكاد يستطيع أن يحمي نفسه.. فأقام دولة الإسلام من أضعف أمة، فأعطيت نصراً على الأمم، وأورثت الأرض من حولها توريثا من الله، وما كان لها أن تنتصر على الأمم لا بقوتها ولا بعتادها.. ولكن الله حقق وعده للمؤمنين.. وأتمّ للناس رحمته.. وحقق في دولة الاسلام بشارات المرسلين من قبل.. وأعطى الكتاب والدين لمختارين أو مصطفين، هم من كل الأجناس تماما كما بشر المسيح عليه السلام.. قال الله عزّ وجل في كتابه العزيز عن المسلمين :" **ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير**"

obeikandl.com

الملحق الثالث
إفساد بني إسرائيل المتكرر بالأرض والوعد بعقابهم مع كل إفساد

" **وقضينآ إلى بنى إسرائيل فى الكتـــاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنـــآ أولـــى بـــأس شـــديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددنـــــاكم بأموال وبنين وجعلنـــاكم أكثر نفيرا، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أســـأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلـــوه أول مرة وليُتبروا ما علوا تتبيرا، عسى ربّكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنـــا جهنم للكافرين حصيرا**" (الإسراء ٤-٨) .

إنها مرتان يُهدم فيها البيت ثمّ يُبنى! فهل من ثالثة؟

ذكر الله عزوجل هنا إفساد بني إسرائيل واستكبارهم وعلـــوهم المتكـــرر بالأرض لمرتين علىالأقل، وعقاب الله عزوجل الرادع لهم ببعـــث أقـــوام ذوي بأس شديد فخربوا ديارهم ومدنهم وهدموا معبدهم ببيت المقدس، وذكر عزوجل أنّهم من بعد عقابهم الأول قد أُعطوا الفرصة مـــن جديـــد ومُكِّنـــوا بـــالأرض (المقدسة) مرة أخرى ابتلاءً لهم وامتحانا.. ولكنّ العقاب عاجلهم (أو سيعاجلهم) مرة أخرى على يد قوم ذوي بأس شديد فيخربون الديار والمعبد كما خرّبوه أولَ مرة عقاباً على اليهود بما أفسدوا في الأرض وطغوا.. وتُختم الآيات بفتح بـــابٍ للأمل.. فلعله أن يُفتح لهم باب رحمة من بعد عقابهم على الإفساد الثاني لعلهـــم أن يتوبوا إلى الله ويتبعوا رُسُلَه.. رُسُلَ الرحمة محمدا ومن قبله عيسى عليهمـــا الصلاة والسلام.. فإن عادوا للإفساد في الأرض فإنّ الله عزوجلّ لهم بالمرصاد وسيُنزل عليهم العقابَ الشديد من جديد.. " **عسى ربّكم أن يرحمكم وإن عـــدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا**" (الإسراء: ٨) .

وقد اختلف علماء التفسير المسلمون في المقصود بالإفسادين الأول والثاني المُشار إليهما بالآيات الكريمة أعلاه، كما اختلفوا في تفاصيل العقاب الذي وقع على بني إسرائيل بعد كلّ مرة، إلا أنّ آراءهم هنا كانت تعكس إلى حد كبير درجة معرفتهم بالتاريخ الإسرائيلي، والقضية التي يبدو أنّ أغلبهم اتفق عليها هي أنّ هذين الإفسادين والعقابين الأول والثاني قد وقعا كلاهما بالماضي، وذلك عكس ما عليه الكثير من المفكرين المعاصرين، وإن كانت الآية الكريمة أعلاه تشير إلى احتمال تكرار الإفساد من بني إسرائيل من بعد إفسادهم الأول والثاني، وتقطع عندها بإنزال العقاب عليهم من جديد.. وهو ما يجعل الآيات الكريمة مستوعبة لقيام إسرائيل المعاصرة وإفسادها الحالي بغض النظر عن قضية تفسير الإفسادين والعقابين التاليين لهما..

ويبقى هنا القول بأنّ من المتفق عليه عامة هو أنّ المرة الأولى بالذات من الإفساد والعلو من قِبَل بني إسرائيل قد وقعت.. ولعلنا نفهم من الآية الكريمة أنّ العقاب الأول كان كالثاني مصحوباً بدمار المسجد (وهو المسجد الأقصى أو المعبد بأورشليم) إذ أشارت الآية الكريمة (رقم ٧) أنّ تدمير المعبد بالعقاب الثاني سيتمّ كما تمّ بالمرة الأولى.. ممّا يعني أنّ العقاب الأول المقصود به هنا – والله أعلم– هو ذلك العقاب الشديد الذي وقع على أيدي البابليين برئاسة نبوخذنصر عام ٥٨٦ ق م حيث تمّ خلاله أول تدمير للبيت أو المعبد (المسجد) بالقدس.. وأنّ العقاب الذي وقع من قبله على مملكة إسرائيل وبه أُبيد شعبها عام ٧٢١ ق م على يد سرجون الثاني وجيشه من الآشوريين، أنّ هذا العقاب على أيدي الآشوريين ليس هو المقصود بعقاب المرة الأولى إذ لم يُدمّر به البيت بأورشليم، وقد أُبيد به القوم (العشرة أسباط الذين سكنوا إسرائيل) بمملكة إسرائيل إلى غير رجعة.. وفنوا فلم يكن لهم ذكر بعلو ولا بإفساد ولا بعقاب ثان من بعد ذلك..

أمّا عقاب الله عام ٥٨٦ ق م فقد وقع على سبطي يهوذا وبنيامين الذين غلب عليهم فيما بعد اسم اليهود لكثرة سبط يهوذا بينهم، وهو العقاب الذي تبعه إفساد تال من بني إسرائيل ثم تبعه عقاب.. وهو الذي أُطلق - خلال ذكره بالقرآن- على الذين أوقعوه ببني إسرائيل لفظ " **عباداً لنا**"، مما يدعم القول بأنهم البابليون.. فقد أُطلق على رئيسهم نبوخذنصر بالتوراة (في إرمياء ٢٥: ٨-١١، وإرميا ٤٣:١٠) لفظ " عبدي" رغم وثنيته هو وقومه.. وذلك من وحدة الوحي وممّا يدعم القول بأن العقاب الأول المقصود بالقرآن كان فعلا هو ذلك الذي وقع على أيدي البابليين عام ٥٨٦ ق م.. ولا أرى صواب القول بنفي كل ذلك لمجرد الفهم من لفظ " **عباداً لنا**" أنه يعني بالضرورة مؤمنين، إذ الجميع عباد الله وما أوردته من أدلة أقوى وأبين.. وقضى الله عزوجل بحكمته بالتوبة على بني إسرائيل (اليهود منهم) من بعد ذلك فعادوا من الأسر برعاية الملك الصالح كورش وأقاموا بيت الله من جديد بأورشليم.. ولكنهم عادوا إلى الإفساد في الأرض.. وبالذات بالأرض المباركة.. فعطّلوا الشريعة، ونشروا المنكرات، وتبنوا مبادئ الوثنيين من اليونانيين ثم الرومانيين.. وعصوا الأنبياء وقتّلوهم.. وتمادوا في ذلك رغم زجر المرسلين لهم وتهديدهم لهم بعقاب شديد قادم على أيدي الرمان (الذين سموهم بالقطيم!) (١) ..ووقع العذاب الشديد فعلاً من بعد عيسى عليه السلام بأربعين عاما.. تماماً كما سُجّل بالنبوات التي سبقته بعشرات أو مئات السنين.. وكان عذاباً شديداً اشتمل على حرق البيت بأورشليم ثم تدميره ومحوه، تماماً كما حذر المرسلون من قبل.. وطُرِد بنو إسرائيل من الأرض المباركة.. وكُتِب على بني إسرائيل من بعد ذلك العقاب الثاني والتدمير الثاني، كُتب عليهم الشتات والمسكنة والمذلة بين أمم الأرض.. تماماً كما حذر الأنبياء(١).. وانتظر الناس لفترة من الزمان - تحدّث عنها الأنبياء- انتظروا مجيء الأمة المباركة الوارثة للكتاب والأرض من بعد بني إسرائيل.. فجاءت

تماما في حينها المحدد من قبل (١)، وأخرجت الرومَ من الأرض المباركة كما ذكر الأنبياء..

وعلى هذا فلا يبدو أنّ العقاب الثاني إلا ذلك الذي وقع على أيدي الرومان عام ٧٠ م.. ومن غير المعقول تجاهله! وقد استمرت آثاره حتى اليوم.. وهو بلا شك العقاب الثاني الذي تمّ فيه هدم البيت (الهيكل) للمرة الثانية مما يتفق مع فهم التاريخ، ومع قول معظم المفسرين بأنّ الإفسادين والعقابين قد وقعا بالماضي.. ولكأنّ الآيات الكريمة لم تكن في معرض التنبؤ بأحداث بني إسرائيل في وقت لم يعد لهم به معبد ولا وجود بالأرض المباركة، إنّما كانت – كما هو المعتاد بالمصحف الكريم– في معرض استعراض أحداث بني إسرائيل الماضية، وأخذ العبرة منها.. فقد أُعطوا الفرصة هاهنا مرتين قبل أن يتم استبدالهم بالمسلمين.. واختتمت الآيات بالإشارة إلى أن العقاب سيأتيهم مع أي إفساد جديد، وفي ذلك إشارة خفية إلى الأحداث المعاصرة.. والله أعلم..

إنّنا نعاصر اليوم إفساداً وعلواً جديدا لبني إسرائيل، ربّما لم يتخيله المفسرون الأولون لهذه الآيات عند تفسير هذه الآيات.. وانصرف إليه ذهن المعاصرين حتى ظنوه هو الإفساد الثاني.. مع أنّ الآيات صريحة في احتمال وقوع إفساد ثالث أو أكثر.. وجازمة بوقوع العقاب الشديد على كلّ إفساد بالأرض يقوم به اليهود.. ولا نحتاج لبثّ الأمل بزوال دولتهم المعاصرة إلى ليّ التفسير لنجعل إفساد اليهود المعاصر هو الثاني المقصود بالآيات أعلاه..

كتب الإمام الشنقيطي بالجزء الثالث من أضواء البيان عند تفسيره للآيات أعلاه من سورة الإسراء: " قوله تعالى: **(وإن عدتم عدنا)** لّما بيّن جل وعلا أنّ بني إسرائيل قضى إليهم في الكتاب أنهم يفسدون في الأرض مرتين وأنه إذا جاء وعد الأولى منهما بعث عليهم عبادا له أولي بأس شديد فاحتلوا بلادهم وعذبوهم ، وأنه إذا جاء وعد المرة الآخرة بعث عليهم قوما ليسوؤوا وجوههم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا، وبيّن أيضا أنّهم

إن عادوا للإفساد المرة الثالثة فإنه جل وعلا يعود للانتقام منهم بتسليط أعدائهم عليهم وذلك في قوله : (وإن عدتم عدنا) ولم يبين هنا هل عادوا للإفساد **المرة الثالثة** أو لا، ولكنه أشار في آيات أُخَر إلى أنهم عادوا للإفساد بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وكتم صفاته ونقض عهوده ومظاهرة عدوه عليه إلى غير ذلك من أفعالهم القبيحة فعاد الله جل وعلا للانتقام منهم تصديقا لقوله:(وإن عدتم عدنا) فسلط عليهم نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين..".

وجاء في التفسير الكبير للإمام لرازي رحمه الله تعالى بالجزء العشرين " ثم قال : **(وإن عدتم عدنا)** يعني أن بعثنا عليكم من بعثنا ففعلوا بكم ما فعلوا عقوبة لكم وعظة لتنتفعوا به وتنزجروا به عن ارتكاب المعاصي ثم رحمكم فأزال هذا العذاب عنكم، فإن عدتم مرة أخرى إلى المعصية عدنا إلى صب البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى قال القفال : إنما حملنا هذه الآية على عذاب الدنيا لقوله تعالى في سورة الأعراف خبرا عن بني إسرائيل : " **وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيـامة من يسومهم سوء العذاب**" الأعراف ١٦٧، ثم قال: **(وإن عدتم عدنا)** أي وإنّهم قد عادوا إلى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب لمحمد صلى الله عليه وسلم وكتمان ما ورد في التوراة والإنجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على أيدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا ملك لهم ولا سلطان.."

..يلاحظ أنّ المفسّرين كالشنقيطي وربما الرازي رحمهما الله تعالى اعتبروا إفساد اليهود أيام الرسول عليه الصلاة والسلام هو الإفساد الثالث.. ولا يوجد في الواقع ما يمنع من ذّلك، فالباب مفتوح لإفساد متكرر من قبل بني إسرائيل وهو مفتوح كذلك لعقوبة زاجرة في كلّ مرة كما صرحت بذلك الآية الكريمة(**وإن عدتم عدنا)** .. إلا أنّ إفسادهم أيام الرسول عليه الصلاة والسلام لم يتمّ بالأرض المباركة (وهي التي يُشار إليها أحيانا بلفظ الأرض) كما أنّ

العقوبة التي حلّت بهم لم تشتمل على هدم بيت الله بأورشليم (أو بيت المقدس).. ولم يكن لتلك العقوبة الأثر الشامل على اليهود كتلك التي كانت للسبي البابلي والعذاب الروماني عام ٧٠ م.. وعقوبةٌ مثل تلك العقوبة أيام الرسول عليه الصلاة والسلام قد وقعت على اليهود مراراً من قبل على أيدي شعوب فلسطين خلال عصر القضاة كما رأينا ذلك واضحاً بهذا الكتاب، ووقع عليهم عذاب أشدّ منه كذلك على أيدي الآشوريين واليونانيين (كأنطيوخس)، وعلى أيدي ما لا يُحصى من الملوك والشعوب خارج فلسطين.. لكنّها كلها لم تشتمل على هدم البيت الذي أُشير إلى وقوعه في المرتين الاثنتين بآيات الإسراء أعلاه.. ومع إقرارنا بأنّ عقاب المرّة الأولى كان هو عذاب السبي البابلي، فإنّ جميع تلك العقوبات الشديدة التي وقعت بسبب مخالفات ومعاصي بني إسرائيل لم يُعتبر منها كعقاب رئيسي إلا ذلك الذي وقع على أيدي البابليين ، واشتمل على هدم البيت وطرد اليهود من فلسطين.. ولم تُسجّل تلك العقوبات ضمن العقوبات الرئيسية التي وقعت عليهم وأشير اليها بالقرآن الكريم.. مع أنّ أكثرها سبق السبي البابلي.. وواضح أنّ أثرها عليهم لم يبلغ أثر العقابين البابلي والروماني الذين هدم بهما المعبد بأورشليم وطرد بهما اليهود من فلسطين.. ومن هنا فلعلي أختلف مع المفسرين ، وما أظن العذاب الثالث إلا العذاب المنتظر لهم بعد إفسادهم المعاصر وعودتهم الحالية إلى فلسطين..

إنّ إفسادهم المعاصر أبرز من كلّ ما سبقه لهم من إفساد، بما فيه إفسادهم ذلك الذي عاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم.. لقد علوا اليوم بالأرض المباركة نفسها، وأفسدوا فيها بالهدم والقتل والاغتصاب .. وتعمدوا نشر الرذيلة والفاحشة على مستوى المعمورة بشكل مباشر وبغير مباشر، وابتزوا الناس بما أوقعوهم فيه من رذيلة وفاحشة وذلك على ما أثبتوه هم أنفسهم عن مخابراتهم (الموساد) وبما عرفته الشعوب وشهدته على حيلهم.. وإفسادهم المعاصر أبرز مما سبقه بما ملكوا اليوم من قوة ونفير، حتى سيطروا على أمم الأرض وجندوا

لأنفسهم حكومات وجيوش أكثر هذه الأمم قوة.. حتى قال مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا مؤخراً بأن اليهود نجحوا في تجنيد جيوش الأمم الأخرى لتقاتل نيابة عنهم.. وأفسدوا بالأرض.. فكانوا هم وراء الإلحاد والشيوعية والإباحية والوجودية والتحلل الإجتماعي.. من خلال جيش من المفكرين والمبدعين! المعروفة أسماؤهم للجميع.. ومن خلال مؤسسات الإعلام والمال والضغط المنتشرة بالعالم.. إنّه العلو التام فوق كل الأعراف والشرائع والقوانين بما فيها تلك التي ساهموا في وضعها لإخضاع مَن سواهم من الشعوب.. وعلوا حتى حُرّم بالعالم التعرض لهم أو نقدهم وأُحل بعد ذلك نقد كل شيء.. كل شيء بلا استثناء إلا انتقاد اليهود..

لكنّ المؤمنين يؤمنون بوعد الله.. وبقرب زوال دولتهم المعاصرة مهما حبكوا من خطط لحمايتها.. فسيأتيهم الله من حيث لم يحتسبوا.. ذلك وعد القرآن والسنة المطهرة.. وبه قد وُعدوا بالتوراة من زمن موسى عليه السلام.. وعلى ذلك إيمان جماعة متدينة كبيرة منهم..

---

(١) على القارئ مراجعة هذه التحذيرات الثابتة والمفصلة بالإنجيل والتوراة ومخطوطات البحر الميت.. وقد أوردتها مفصلة بكتابي " تباشير الانجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم".

obeikandl.com

الملحق الرابع
مكانة الخلافة الإسلامية في التاريخ البشري

ظلت البشرية أمة واحدة صالحة دهرا من الزمن من بعد آدم عليه السلام.. ويفهم من الكتاب المنسوب إلى إدريس عليه السلام أن تلك الفترة ربما تكون قد تجاوزت الألف عام.. ثم انحرفت البشرية، وتناست تعاليم أبيها آدم عليه السلام، فأرسل الله إليها الرسل متتابعين.. فلم يتبعهم ويهتد إلى الله على أيديهم إلا القليل.. " **ثم أرسلنا رسلنا تترا، كلّ ما جاء أمة رسولها كذبوه، فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث، فبعدا لقوم لا يؤمنون**" المؤمنون الآية ٤٤.. وظل المؤمنون أقلية رغم العقاب الرباني المتكرر على العصاة.. ولم تخل أمة إلا وقد بعث إليها نبي أو أنبياء.. ولم تهتد أي أمة واحدة بجميعها إلا قوم يونس، ولكنّ اهتداءهم كان لفترة لا تبدو أنها طالت من بعد يونس عليه السلام.. ثم اختار الله عز وجل بني إسرائيل.. أحفاد الأنبياء إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ليقيموا أمة ربانية مهتدية تكون نموذجا للمؤمنين وشاهدة على الأمم.. واهتدى من قوم موسى أمة عظيمة.. ولكنها ظلت أقلية بين بقية بني إسرائيل مطاردة عبر الزمان.. وعطّل بني إسرائيل الشريعة وعطلوا الكتاب وحرفوه وبدلوا كلام الله الموحى إليهم، وقلدوا الأمم الوثنية من حولهم.. وأفحشوا في ذلك حتى عبدوا غير الله.. واضطهدوا المؤمنين وقتلوا أنبياء الله ورسله، وكانوا أسوأ مثال على المؤمنين، وظلوا – عقابا من الله عليهم– خاضعين لغيرهم من الأمم، محكومين إلا لفترة حكم النبيين داود وسليمان عليهما السلام ثم فترة حكم أبنائهم لعدد محدود من القرون إضافة إلى فترة أخرى قصيرة جدا لم يكن الاستقلال فيها مكتملا أيام المكابيين.. ثم كان عقاب الله عز وجل لهم عقابا متكررا.. وتاب عليهم مراراً.. وظنوا أنهم أبناء الله وأحباؤه دونما شرط العمل الصالح.. ظنوا ذلك واغتروا بعهد الله لإبراهيم الذي يقرؤونه

في كتبهم، مع أنّ الوحي والكتب لديهم تمتلء بعشرات المواضع التي تهددهم بالعقاب إن لم يطيعوا ويصلحوا.. ولكن الانحراف ظل ديدنهم.. حتى جاء الحكم الإلهي بنـــزع النبوة منهم إلى أمة بديلة هي كذلك من نسل إبراهيم عليه السلام.. فكان قيام الأمة الإسلامية بعد ذلك.. أمة وارثة لدعوة الأنبياء جميعا، شاهدة على الناس، أبناؤها من كل الأمم، ودعوتها لكل الأمم.. وقام للمؤمنين أخيرا دولة مهابة ومنزلة ظلت هي الأعلى بين الأمم لما قد يتجاوز الألف عام.. ولأول مرة في تاريخ البشرية من بعد عهد آدم يجتمع هذا القدر من الأمم يعبدون الله ويتبعون الأنبياء بغير خوف ولا اضطهاد.. وانتشرت بيوت الله في كل بقعة وأمها الناس في أمان كامل، وسلام وعدل تام..

.. وحقّ بذلك أن يكون قيام دولة الإسلام وغلبتها للأمم الوثنية التي طالمـــا اضطهدت المؤمنين من قبل، أن يكون هذا القيام مكان تسلية للمؤمنين الســـابقين وتخفيفا لمعاناتهم، وتبشيرا لهم بأن المؤمنين هم الغالبون فيما يلي من أيام..

ولكنّ الوجود البشري على الأرض هو وجود امتحان وابتلاء بالاستخلاف عليها.. ودين الله إنما أُنزل على بشر.. والمسلمون من البشـــر يســـري إلـــيهم الضعف كغيرهم، وقد أعادوا معظم أخطاء بني إسرائيل كما تنبـــأ لهـــم بـــذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام، ولكن في نطاق أضيق.. فزال عنهم نصر الله وأسلموا لأعدائهم تأديبا لهم كما أخبر بذلك أيضـــا المصـــطفى عليـــه الصـــلاة والسلام.. وفقدت كثير من أمم الإسلام استقلالها التام كما فقده بنو إسرَائيل مـــن قبل، وتحكمت في شئونها أمم كافرة كما وقع على بنو إسرائيل من قبل، عقوبة من الله حتى يعود المسلمون إلى دينهم، يأخذونه كـــاملاً، لا أجـــزاء يأخـــذون، وأخرى يدعون.. ونعلم أن المسلمين عائدون إلى الله.. وأنها عَـــودة مباركـــة سيتوجها نصر شامل للإسلام حتى يدخل كل البيوت على وجـــه الأرض كمـــا أخبر بذلك أيضاً المصطفى صلى الله عليه وسلم.. وسيتمم نصرهم نزول عيسى

عليه السلام حكما عدلا يؤمن به كل أهل الكتاب بعد انتصاره مع المسلمين عليهم. ..

ولذا فمكانة رسالة الإسلام وأمته في تاريخ الأمم فريدة.. فالمؤمنون وأتباع الأنبياء مضطهدون إلا فيما ندر في تاريخ البشرية إلا عند قيام الإسلام.. وهو الدين والرسالة العالمية التي يجب على أتباع الأنبياء جميعا اتباعها.. فكان التبشير بها والتهليل لها أمرا طبيعيا..

نحن أولى بأنبيائهم وصالحيهم منهم:

إنّها أمة واحدة منذ آدم حتى آخر مؤمن يعيش على هذه الأرض.. دينها واحد.. ومعتقدها واحد.. والمشرّع لها واحد.. إنها أمة الصالحين بما فيهم من الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين الذين قاموا على مرّ الزمان يدعون الناس لعبادة الله وحده واتباع شرعه.. ويجد المسلمون الذين يقرؤون القرآن هذا المعنى في سورة الأنبياء حيث تأتي الخاتمة بعد استعراض قصص الأنبياء إبراهيم ونوحاً وداود وسليمان وأيوب وذا النون (يونس) وزكريا ومريم مع ذكر أسماء الأنبياء لوطا وإسحاق ويعقوب وإسماعيل وإدريس وذا الكفل ويحيى ، تأتي الخاتمة لهذا الاستعراض بالآية الكريمة : " **إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**" الأنبياء الآية ٩٢، ويتكرر مثل هذا التعليق كذلك بسورة المؤمنين آية ٥٢، فيأتي بعد استعراض قصص الأنبياء نوح وموسى وعيسى وأنبياء بينهم.. فبعد ذلك الاستعراض يأتي قوله تعالى " **وإنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** "..

إنها أمة واحدة تعبد الله وتستسلم لأمره وحكمه، وهي تجاهد الضلال والزيغ المتكرر الذي ضلت البشرية تركنُ إليه كل حين، فيقوم الصالحون يقودهم الأنبياء والعلماء بهدايتها وإعادتها إلى الصلاح وهدى الله.. وتمرّ فترات عصيبة على المؤمنين، يُطاردون، ويُنكّل بهم، ويُقتلون، وهم أقلية.. فتأتيهم البشارات

ستكون للمؤمنين، وأنّ الله سيقيم لهم دولة غالبة بالأرض، ستكون لها الكلمة الأولى واليد الطولى.. وأنّ المؤمنين سيكونون هم الغالبين السائدين، وسيخزي الله هؤلاء المنحرفين حتى يكونوا هم القليل.. فكان المؤمنون ينظرون إلى من سيأتي بعدهم انه امتداد لهم، وجاء المؤمنون من بعدهم ينظرون إلى الأولين أئمة لهم.. يُجلّونهم ويحبونهم ولا يميزون بينهم **(لا نفرق بين أحد من رسله)**.

وتأتي الأمة اليهودية من بين الأمم مصطفاة من الله تعالى لحمل دينه وتطبيق أوامره.. ولكنها مهددة منذ اللحظة الأولى باللعن الطرد والاستبدال إن لم تلتزم بتعاليم الأنبياء والمرسلين.. ومرّت الأحداث متتالية تُثبت عجز بني إسرائيل عن القيام بدين الله وشريعته، ولم يُجدي معهم، ولم ينفعهم العقاب ولا التهديد.. فقد ظلوا على غيهم، بل ظلوا يُكذبون المرسلين ويقتلون الأنبياء والصالحين.. والأنبياء في هذا ينذرونهم ويذكرونهم، حتى وقع أمر الله عليهم بالطرد من الأرض المباركة وتسليمها لأمة مصطفاة مختارة جديدة.. فصاروا يأمرون صالحيهم بالصبر والثبات ويبشرونهم بأنّ دولة الله ومملكته قادمة عمّا قريب، وبأنها ستحرر كلّ المؤمنين من استعباد الأمم الوثنية لهم، وقد كانوا لقرون طويلة تحت حكم الوثنيين، وتمّ كل ذلك، وطرد اليهود فعلا من الأرض المباركة في الوقت الذي حدده المرسلون كما سنرى، ثم قامت دولة الله (خلافة الإسلام) من أمة من غير اليهود تماما كما ذكر المرسلون، وفي الوقت الذي حددوه كذلك.. وتحقق بقيامها وعد المرسلين.. وظلت السائدة بالأرض لأكثر من ألف عام.. وهي اليوم ضعيفة تماما كما أخبر من قبل نبيها محمد صلى الله عليه وسلم.. ولها جولة قادمة كما أخبر.. وللباطل جولة.. ثم يكون بعد ذلك أمر الآخرة وانقضاء هذه الفانية.. والله أعلم..

الملحق الخامس •

شجرة أنساب الحشمونيين

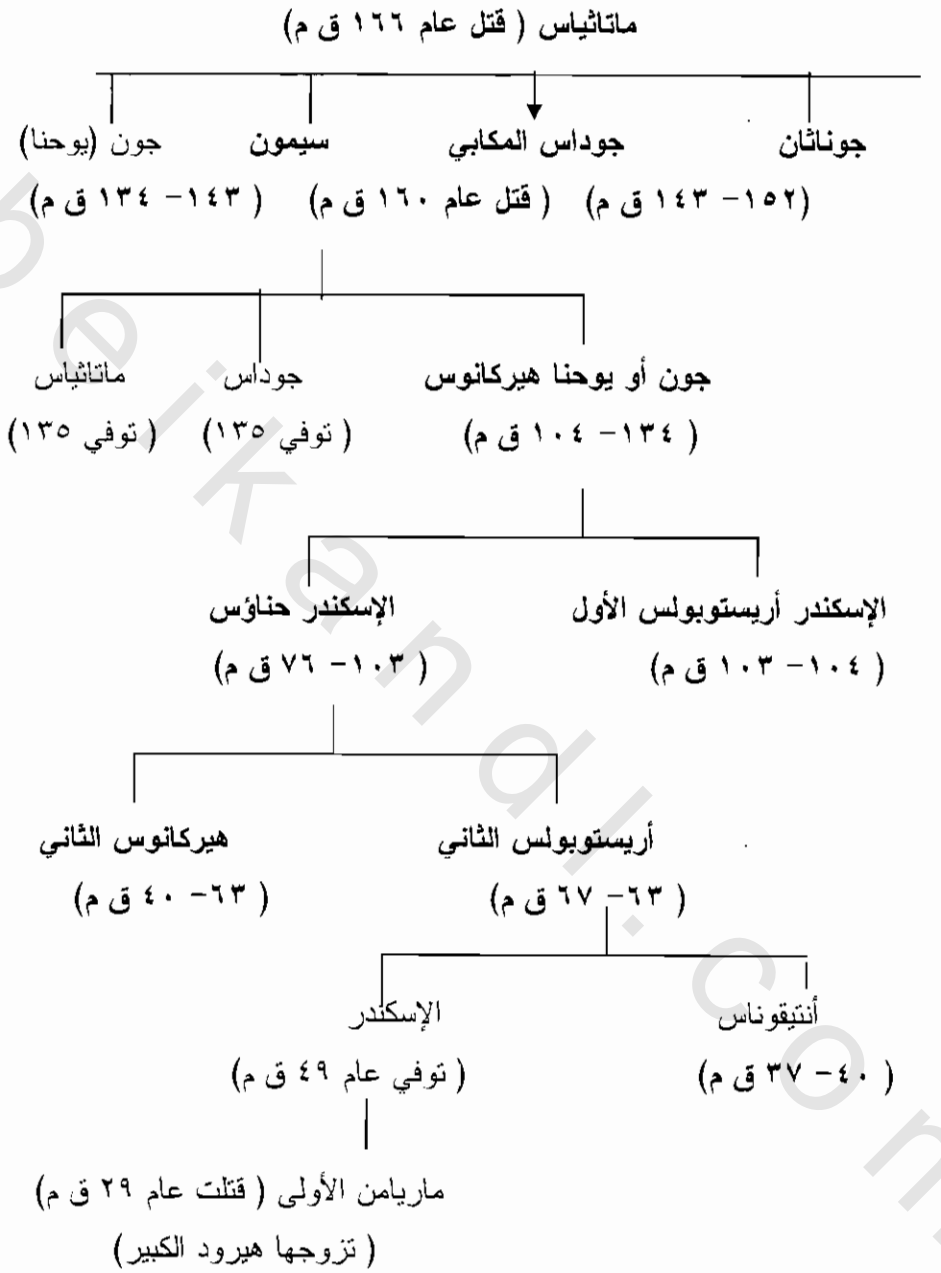

• أضف هذا الملحق لتسهيل متابعة الأحداث والصراعات خلال فترات حكم الحشمونيين والهيروديين .

شجرة أنساب الهيروديين

(كتبت أسماء الحكام مغلظة)

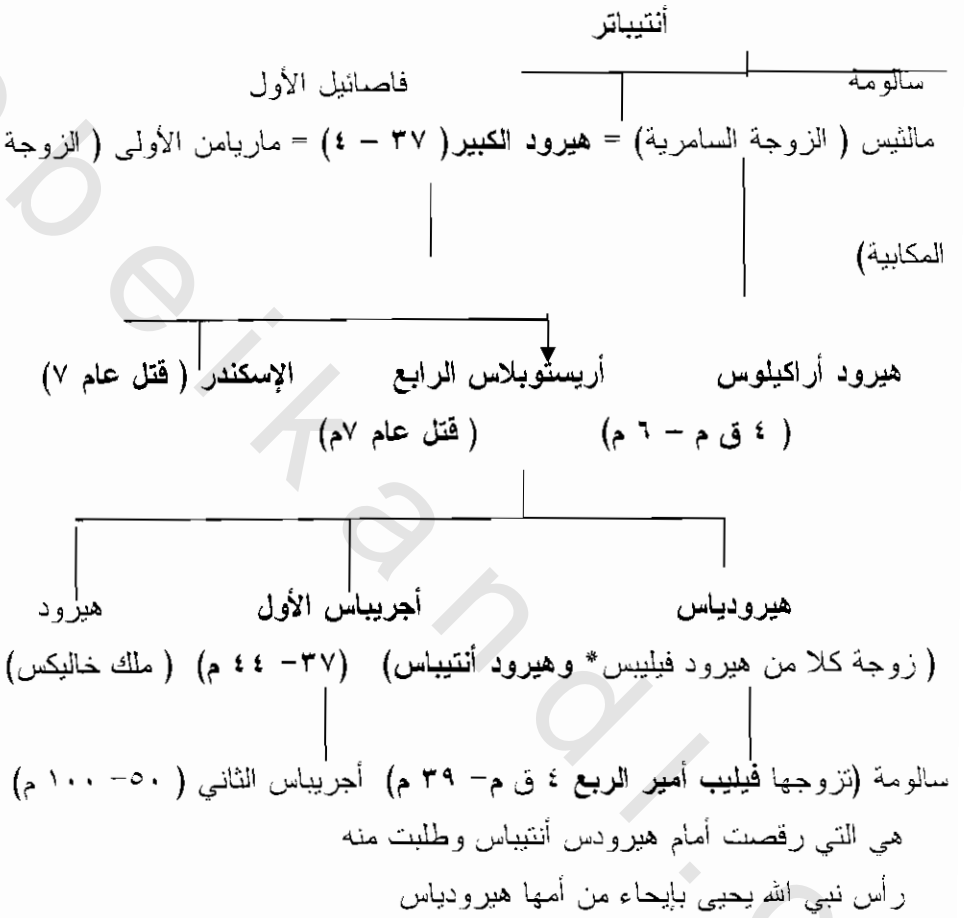

* هيرود فيليبس هو ابن هيرودس الكبير من زوجة أخرى هي مريامن الثانية.

الملحق السادس

الخرائط المتعلقة بالأحداث الرئيسية بالبحث

شكل ١: انتشار الإمبراطورية الكلدانية (البابلية) ٥٨٦- ٥٣٨ ق م.

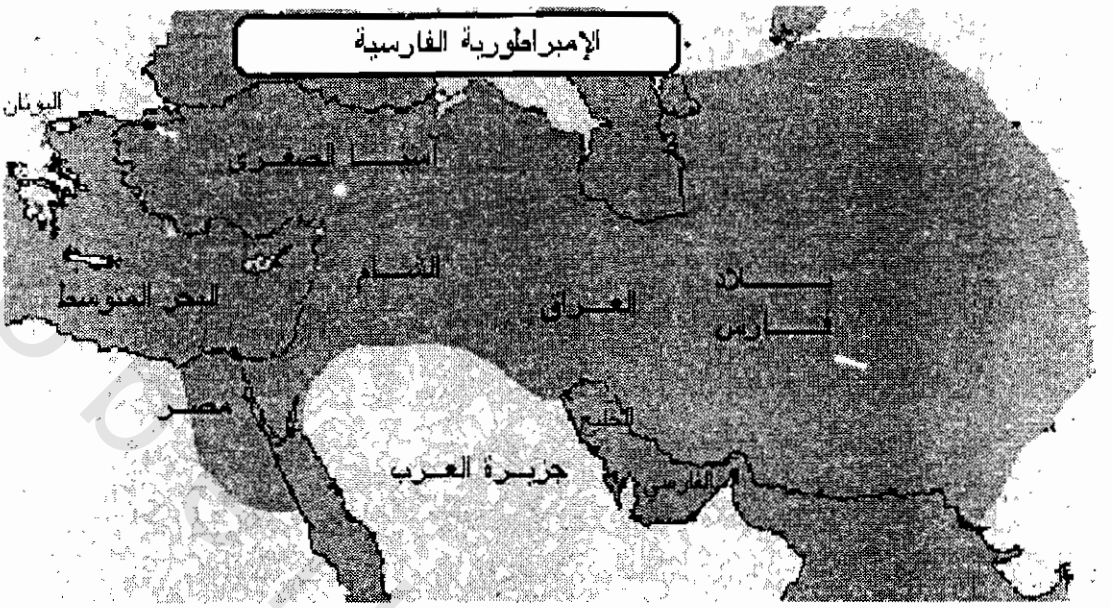

شكل ٢: انتشار الإمبراطورية الفارسية ٥٣٨ ـ ٣٣١ ق م.

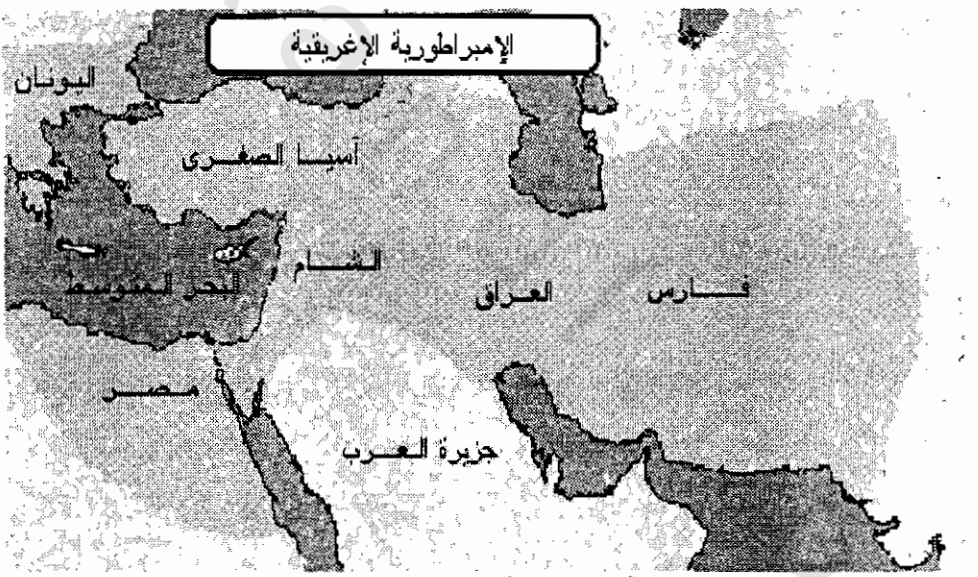

شكل ٣: انتشار الإمبراطورية الإغريقية ٣٣١- ٦٣ ق.م

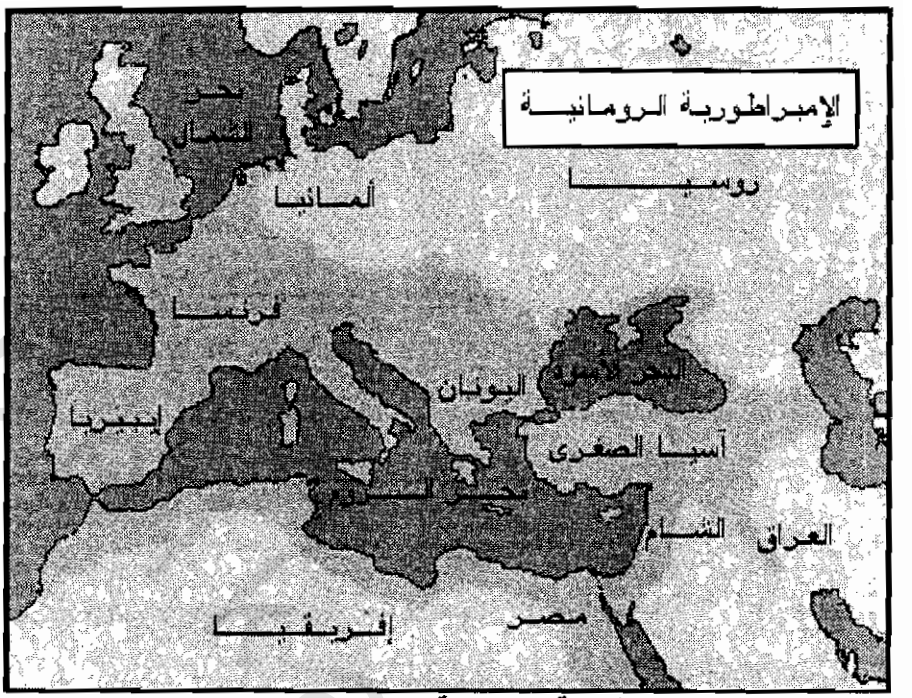

شكل ٤: انتشار الإمبراطورية الرومانية ٦٣ ق.م – ٦٣٨ م.

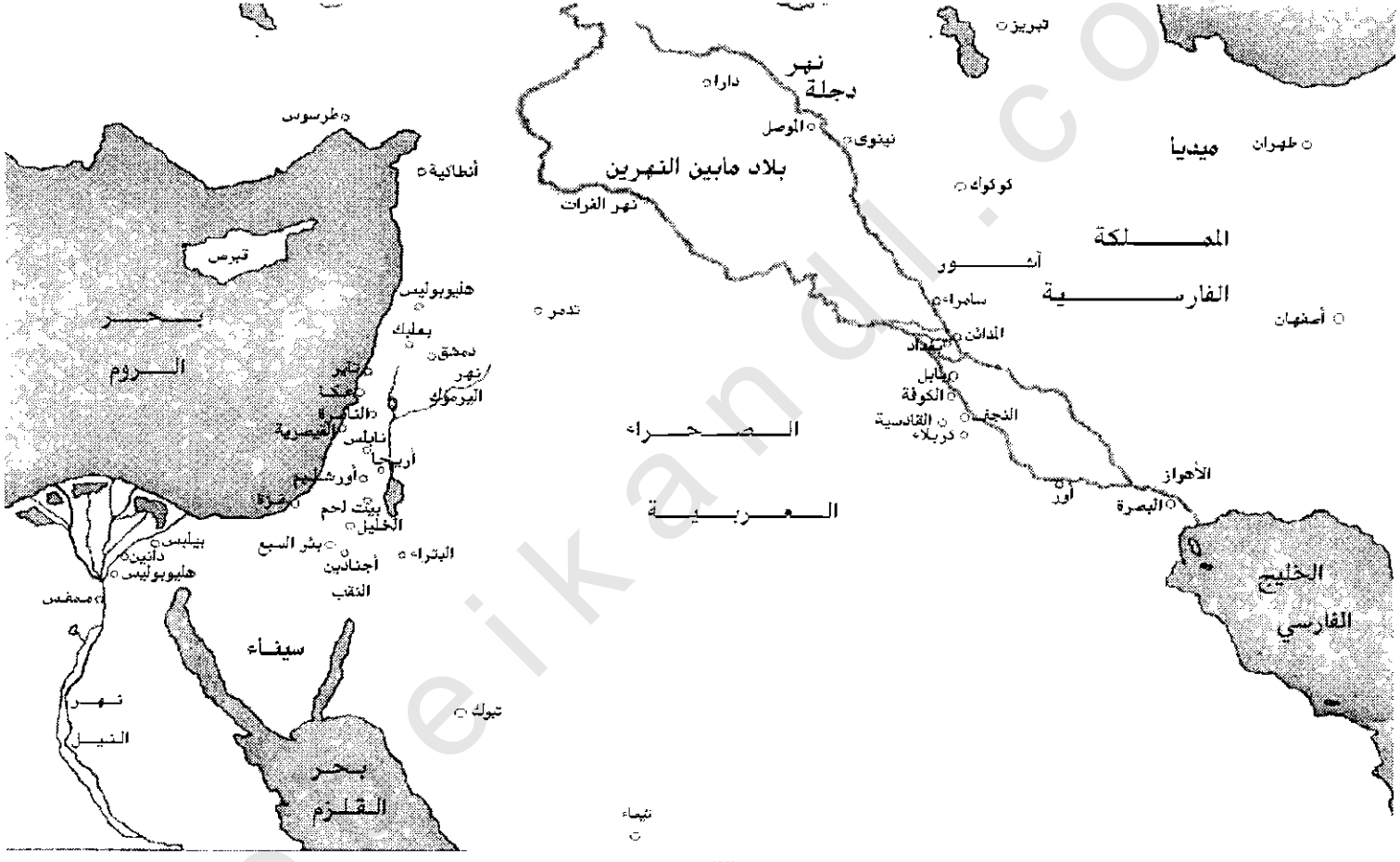
طرسوس
أنطاكية
قبرص
بحر الروم
هليوبوليس
بعلبك
دمشق
نهر اليرموك
صور
عكا
الناصرة
السامرة
نابلس
أريحا
أورشليم
غزة
بيت لحم
الخليل
بيلبس
دانين
هليوبوليس
بئر السبع
أجنادين
البتراء
النقب
ممفس
سيناء
نهر النيل
تيوك
بحر القلزم
تبريز
نهر دجلة
دارا
الموصل
نينوى
بلاد مابين النهرين
نهر الفرات
كوكوك
ميديا
طهران
المملكة الفارسية
آشور
سامراء
تدمر
المدائن
بغداد
بابل
الكوفة
القادسية
النجف
كربلاء
الصحراء العربية
أصفهان
الأهواز
أور
البصرة
الخليج الفارسي
نيماء

obeikandl.com

الخـــاتمـــــــة

مأساتنا المعاصرة

من السهل أن نُسطر هنا مرة أخرى مجموعة من الخواطر والعظات المتعلقة بتاريخ بني اسرائيل.. وقد سبقت الإشارة إلى كثير منها عند استعراض أحداث تاريخ بني إسرائيل الرئيسة في هذا الكتاب.. ولكنّ الالتزام بما تُمليه الدروس والعبر عسير على كل المستويات.. فالأعداء قد أحكموا خناقهم على هذه الأمة، ونجح مكرهم بها في جعلها تابعا مُمزقا ومستضعفا لهم.. جرّدوها من اعتزازها بدينها وأصالتها، وجردوها إلى حد كبير من كل سلاح يُمكّنها من مواجهتهم يوما من الأيام، بل ومن كل التكنولوجيا التي حرّموها عليها، وعاقبوا من قد يعينها في الحصول عليها، ووضعوا لذلك النظم والقواعد التي جعلوها شرعة لا ينتهكها إلا المجرمون، وأرهبوا زعاماتها حتى لا تسعى لنهضة علمية تقنية حقيقية بها، لتظل هذه الأمة أمةً مستضعفة إلى الأبد، وأباحوا لها الحصول على منتجات التقنية التي يصنعونها ليطفئوا بذلك حاجتها، فالحاجة أم الاختراع.. ولا بأس بسد حاجتها، فلا تخترع!.. واستغلوا تناقضاتها وأخطاء أبنائها فشرّعوا شرائع كفلت لهم التدخل في شؤونها والاطلاع المباشر على كل قضاياها، واستطاعوا بطريقة أو بأخرى أن يجعلوا من أبطالها مجرمين.. أولئك الشباب الذين كانوا يوما أملاً واعداً للأمة قد تمّ وأده.. كيف نجح الوأد!.. لا نكاد أن نتخيل.. أولئك الذين هبّوا لإنقاذ المستضعفين بأفغانستان وقد ذبح الروس بها مليونا ونصف المليون من سكانها، والذين هبّوا لإنقاذ البوسنة وقد ذبح الصليبيون بها ثلاثمائة ألف من أبنائها تحت سمع العالم المجرم الذي أعانهم بفرض الحصار على المسلمين فلا يصل إليهم سلاح ولا عون، وأولئك الشباب من أبناء فلسطين الذين يسعون لطرد الغاصب المحتل، وهو يُقتّلهم ويمتهنهم

بالليل والنهار، وأولئك الذين هبّوا لتحرير الشيشان من الروس الغاصبين الذين أزهقوا الأرواح وأبادوا المدن لا لشيء إلا ليستبدوا بأمة أخرى لا تمت لهم بصلة لغة ولا دين، والشباب الذين سعوا لاستقلال كشمير وقد استعمرها الهندوس بغير حق، وقتلوا الكثير من أهلها، والذين هبّوا لإنقاذ الأقليات المسلمة في أنحاء أخرى من الأرض.. كل هؤلاء الأبطال صاروا مجرمين إرهابيين.. والمجرمون الحقيقيون وأكثرهم من المستبدين النصارى واليهود الذين قاموا بذبح الملايين من مسلمي افغانستان والبوسنة وطاجكستان وفلسطين وكشمير والفلبين وبورما والهند واثيوبيا، ومن قبلها ذبحوا الملايين من المسلمين بدول وسط آسيا المسلمة، صار هؤلاء المجرمون الحقيقيون هم أهل الحقّ وحماته.. إنجاز بالغ! وأُقنع بذلك كل المسلمين.. وحتى لا يُساء فهمي في هذه الفقرة **فأنا أُقرّ بأن هنالك أخطاء حقيقية** وتجاوزات كبيرة وقعت من مجموعات من الشباب الذين خرجوا للجهاد ما كان لها أن تقع.. ولا يُمكن أن ندافع عنها، ولا يمكن أن نُقلّل أحداث كينيا ولا نيويورك.. التي جرّت على المسلمين من الكوارث ما لا يحصيه إلا الله عزوجلّ وذهبت بها أنفس بريئة.. لكنّ تلك التجاوزات وتلك الخطايا لا تعني أبداً نسيان المجرم الحقيقي الذي أباد الحرث والنسل وما زال.. وتلك التجاوزات والأخطاء البيّنة منها ما يسَّره المجرمون الحقيقيون لهؤلاء الشباب حتى يأخذوهم بها، ومنها ما كان لقلة خبرتهم وفقههم وأتى بعد انقطاع كل حيلة بديلة وسبب، وكثير منها ما يصعب التصديق بأنّهم هم فعلاً وحدهم المسؤلون عنه.. ومع هذا فأنّى يجوز نسيان أنّ المغتصبين هم المجرمون الحقيقيون.. قتلةُ الملايين لا المئات ولا الآلاف بل قتلة الملايين ظلما وعدوانا.. ولكن الأمر غدا أنّ المحتلّ والمستبد واللص هو الراعي لحقوق الشعوب ومقدراتها.. وضاقت السبل فأصبح التبرع لمشاريع الدعوة الإسلامية جريمة، بينما تجمع الكنيسة العالمية ثروات بآلاف المليارات تتجاوز بها ميزانيات الدول الغنية، وتستحلّ لدعوتها بالعالم كلّ شيء.. والجميع يعلم ذلك، ويظل الإسلام

مطاردا، والدعوة إليه توشك أن تُعَدّ قرينة الإرهاب والجريمة.. وما هذا كله إلا جانب من جوانب هوان هذه الأمة اليوم واستسلامها.. لقد ضاقت بها كل السبل، وأُحكم عليها وعلى المصلحين بها كل خناق.. وتمكّن منها دعاة التغريب والردّة.. وتضاءلت أمام المصلحين سبل الإصلاح ووسائله.. وياليت شعري هل سيدور الزمان كعادته فيكون لأهل المشرق قائمة بعد هذا السقوط، أم أنها هزيمة وخضوع إلى الأبد كما يُخطط لذلك الغرب، فلا يدع مخرجا للشرق ونهضته إلا أوسده، ولا طريقا إلا أقفله.. حتى حقّ لنا أن نقول : إنّ هبوط أمتنا اليوم لا يقاربه أي هبوط من قبل.. ويمتاز عنها جميعا بذكاء الخصوم الذين أقفلوا كلّ سبيل حقيقي للنهوض.. وأجازوا لأنفسهم أن يقوموا بحروب استباقية تُجهز على ما قد نصنع من عدّة أو تقنية أفلتت من حواجزهم وبلغت إلينا كمسلمين، فيدمّرونها بمهدها.. حقاً لهم لا يُنكره أحد عليهم.. أوَليسوا بذلك يمنعون حروبا أشدّ..! أوليس فيما وضعوه من نظم عادلة! بالأمم المتحدة والنظام العالمي ما يُغني الشعوب والدول عن حيازة السلاح.. ويتناسون الظلم الممارس على المسلمين، وعربدة إسرائيل وغيرها عليهم لا بشئ إلا بما جمعت من سلاح يُحني لها رقاب الجميع.. ولا تنحني – بما تملك من قوة وعدة– هي أمام ما يدّعون من تشريع دولي.. أفيريدون من الأمة إلغاء الإعداد وقد أُمرت به، ويريدون منها الركون لحمايتهم وهم مَن يتآمر عليها.. ويريدون منها تغيير هويتها وتعاليمها.. ذلك هو ما يتم اليوم تحت مشاهدة الجميع ومعاينتهم.. لكن الكثير صدّقوا وركنوا إلى هذه الحماية وإلى تلك الوصاية الغربية.. وآثروا بذلك الركون إلى المحتل المستعمر ومنطقه المستكبر على العودة إلى دين الله والمحافظة على هويتنا الإسلامية..

قد يكون من السهل الدعوة إلى التوبة والإنابة إلى الله عزوجلّ.. والتذكير بأنّ ذلك هو المخرج الوحيد لهذه الأمة.. فقد كان ذلك هو نداء الصالحين على مرّ الزمان لتحقيق إصلاحاتهم.. وكان هو نداء أنبياء بني إسرائيل لإنقاذ أمتهم

من عقاب الله الوشيك يوم كفرها بالأنبياء وردّتها، وهو نقطة البدء بالتغيير الذي هو أساس التغيير الإلهي للأمة بالعزة والريادة.. " **إنّ الله لا يُغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**" .. قد يكون من السهل الدعوة إلى الإنابة ولكن من الخطأ الظنّ بأنّ ذلك أمر ميُسرة له السبل وممهدة له الطرق.. فالواقع أنّ الأشرار الذين تجرؤوا حتى حرّموا الحجاب – حتى في بلاد المسلمين– بما فيه من مجرد تغطية شعر الرأس، وأحلوا التعرّي بما يصل إليه من توفير شواطيء العري الكامل المختلط ببلاد المسلمين، والذين حرّموا بديار المسلمين الزواج بثانية وأحلّوا اتخاذ الخلائل البغايا بغير حدّ، هؤلاء لن يدعوا أبواب الإنابة المسالمة لأبناء الأمة مفتّحة.. إنها سنّة الله التي رأيناها هاهنا فيما استعرضناه من تاريخ بني إسرائيل.. إنّ أعداء الله والدّين ليَعلمون أنّ عودة المسلمين إلى الدين هي بداية هزيمتهم، ولن يدعوا ذلك يتم بسهولة.. وستبقى المعركة قائمة بين الحق والباطل حتى قيام الساعة.. وعلى أهل الحق أن يعلموا أنّ ما يعاصرونه إنما هو فصل من فصول هذا الصراع فلا يهنوا ولا يحزنوا.. وماهم في أنفسهم إلا صفحات محدودة ستُطوى قريبا من هذا الكتاب، ولن يُسألوا إلا عن صفحات أنفسهم.. ولن يُسألوا عن نجاحاتهم، ولا عن وضع أمتهم ما داموا ساعين لنهضتها والارتقاء بها.. وقد رأينا أنبياء عظاما كثيرين من بينهم يحيى وعيسى وغيرهما عليهم السلام ما ضرّهم أنهم عاشوا مع قومهم بفترات الضعف والإذلال، وما أنقص من درجاتهم ولا من مكانتهم أنهم ذهبوا ولم يحقّقوا لقومهم ما جاؤوا إليهم من تعميم التوبة وتفادي العقاب الإلهي.. إنّها سلوى للعاملين أن يثبتوا ولا يهنوا وأن نصرهم الحقيقي الأزلي مضمون لهم إن ثبتوا.. إنّهم مطالبون وهم في جهادهم بمدّ أبصارهم إلى الآخرة.. فهي الهدف الذي عليهم أن يُركزوا عليه أنظارهم.. فيهون عليهم بعد ذلك كل ما يعترضهم من صعاب ومحن.. مدركين أنّ أعداءهم حتى لو تمكّنوا بالأرض فإنما هي أيام زائلة ويأتي بعدها عليهم عقاب الله الأبدي.. " **أفرأيت إن متعناهم سنين . ثمّ جاءهم ما كانوا**

يُوعدون . ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتعون".. إنّ العقبات التي تُوضع وستوضع أمام الإصلاح والدعوة لن تنقطع.. لكنّ الالتزام بروح الإسلام، وبما أُمرنا به من الأخذ بالحكمة هو أساس للنجاح ولتقليل الثغرات أمام الأعداء، وللمحافظة على وحدة الأمة..

إنّ الصبر والتوكل على الله عزوجل هما المفتاح.. وقد أمر موسى به بني إسرائيل :" **وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين**" الأعراف ١٢٨، " **وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين. فقالوا على الله توكلنا، ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين. ونجنا برحمتك من القوم الكافرين**" يونس ٨٤- ٨٦..

إنّ الصبر على الاحتلال والإذلال قد يكون هو الحكمة أحيانا.. وقد يبدو هذا المنطق مستهجنا.. ولكنّ القارئ يذكر صبر الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته على اعتدآءات الكفار بمكة، تلك الاعتداءات التي بلغت حدّ القتل والمسلمون لا يردون، وصبر الرسول عليه الصلاة والسلام على شرط الحديبية المجحف الذي رفضه أو كاد أن يرفضه الصحابة، وعلى إعطاء نصف الخراج لغطفان بما يحمله ذلك من غضاضة، وصبر المرسلين من أنبياء بني إسرائيل على الاستبداد البابلي ثم الفارسي ثم اليوناني ثمّ الروماني دون أن يغير ذلك من أولوياتهم، أو يجرّهم إلى قضايا الثأر أو استعادة العزة والاستقلال لأمتهم وأقوامهم، وما لهم من أقوام إلا أقوام الصالحين والمؤمنين التي سعوا جاهدين إلى تجميعها وإحيائها عن طريق الدعوة الصابرة المحتسبة...

إنّ المحافظة على وحدة الأمة أساس للنصر، وشرط للمعية الإلهية للمؤمنين.. " **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء**".. فهل يُعقل أن تُمزّق الأمة بسبب الاختلاف حول اجتهادات غير ثابت خطؤها أو بسبب إشاعات مغرضة، أو حتى بسبب أخطاء ثابتة لكنها لا تصل إلى الكفر

البواح.. وكيف يُعقل أن يكون أكثر الأمة تمزيقا هو قطاع الدعاة والمتمسكين بالكتاب.. أو لم يكن في تجربة فصائل الجهاد في افغانستان مأساة لايجوز تكرارها، أوَ لم يرِنا الله عزوجلّ بها سببا آخر لامتناع النصر عن المسلمين.. فبتشتتهم وتمزقهم أضاع مجاهدو أفغانستان أنفسَهم وأقوامَهم، وأزهقوا دماء لم يكن ليتخيلها أحدٌ منهم.. إنها معصية صريحة.. آن الأوان للتقارب والتأليف.. آن الأوان ليلتحم الجميع بالمؤسسات الداخلية والوطنية لإصلاحها بدل هجرها، وتعميرها بدل هدمها.. والإصلاح بنفس طويل، واحتساب وصبر وأناة.. إن نجاح إصلاح المصلحين للأمة وبروز آثاره على حياة الناس سيستجلب إن شاء الله النصر والعزة من حيث لا نحتسب، وسيهيئ الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم مخرجا مما هي فيه.. ويهديها سبل العزة والنصر من حيث لا نحتسب.. إنّ مما لا يُستغنى عنه اجتماع المفكرين والمصلحين لوضع خطة إصلاح وبناء طويلة وأخرى قصيرة الأمد، واسعة الأفق على مستوى الأقطار كلها يتم بها تجاوز عراقيل البناء والإعداد التي صممها الغربيون لهذه الأمة.. إن في خطة الأعداء ثغرات، وإنّها ما قامت إلا على تمزقنا وفقدان الثقة بين حكامنا.. فهل سيسعى المصلحون للإصلاح والتوحيد والبناء..

كان هذا الكتاب مادة للتأمل في أسباب إضاعة بني إسرائيل للاصطفاء الرباني لهم، لعل فيها للمصلحين والدعاة رصيداً من التجارب والعظات مفيداً ومعينا.. أبرأُ إلى الله عزوجل من أخطائه وأسأله تعالى عفوه وتجاوزه...

المؤلف

ذوالحجة ١٤٢٤هـ

أهم مراجع الموجز التاريخي

القرآن الكريم

- الكتاب المقدس .
- الله جلّ جلاله والأنبياء في التوراة والعهد القديم للدكتور محمد علي البار .
- التاريخ اليهودي العام لصابر طعيمة، ١٩٨٣م .
- الحضارة البيزنطية للدكتور السيد الباز .
- تاريخ إسرائيل لدير القديس للأب متى المسكين .
- اليهودية (أي تقديما) للأغبياء لروبي تد فالكون (بالإنجليزية) .
- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية لعبدالوهاب المسيري .
- The Apocrypha, translated by Edgar J Goodspeed, 1959,
- Jerusalem by Karen Armstrong,
- Antiquities of Jews, by Josephus.
- Great Jewish Revolt: Siege And Destruction Of Jerusalem (70 AD), by Josephus.
- History of the World by J.M. Robert.
- The timetables of History, 3rd Ed. By Bernard Grun.
- A short history of Western Civilization by John B. Harrison, et al
- The Dead Sea scrolls translated, 2nd edition, by Wilfred Watson.
- The Dead Sea Scrolls translated, by Florentino Gaarcia, 2nded.
- The Dead Sea Scrolls, by G. Vermes.
- The complete World of The Dead Sea Scrolls, by Phillip R. Davies et al, 2002.

obeikandl.com

- The Dead Sea Scrolls, ed. 1996, by Michael Wise. Martin, Abegg, J R. & Edward Cook.
- A Test of Time: The Bible – from myth to history, ed. 1995, by David Rohl.
- Life in Biblical Israel, by Philip J. King and Lawrence E. Stager, 2001.
- Jewish Writings of the Second Temple Period, by Michael E. Stone, 1984.
- Wycliffe Bible Dictionary, Michael Wise, Martin Abedge& Edward Cook.
- The Oxford Dictionary of World Religions, by John Bowker, 1997.
- The Other Bible, by Willis Barnstone, 1984.

obeikandl.com